دراسات معاصرة
Contemporary Studies
مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد: 06/ العـدد: 01 جوان (2022)، ص489/497

مصطلح الكلمة في المدارس اللغوية الحديثة

The word concept in modern language schools

د. بلقاسم إيمان فاطمة الزهراء
imane13b@gmail.com
جامعة تلمسان
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/06/20 تاريخ القبول: 2022/01/02 تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص:

إنّ النّظام النّحوي في اللّغة مرتبط ارتباطا مباشرا بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السّياقات المختلفة، وهذه الجمل تفكّك لتصبح كلمات، وهذه الكلمات تختلف مفاهيمها ووظائفها باختلاف اللغات المنسوبة إليها، وقد تباينت آراء العلماء في وضع حد العالمي لها، ففكرة الكلمة لا يمكن أن تُعرّف تعريفا ينطبق عليها في كلّ اللّغات، فلكلّ لغة خصائصها الذاتية التي تختلف بها عن اللغات الأخرى، وإن اشتركت في بعضها باعتبارها تتكون جميعها من أصوات وتُكوّن نظاما صوتيا وصرفيا ودلاليا ونحويا، وهي قضيّة وإن أدركها علماء اللّغة إلا أنّهم مضوا في محاولاتهم لإيجاد تعريف شامل مانع للكلمة. اعتمد البحث المنهج الوصفي في تتبع الظواهر والمعاني المختلفة، واستعان بالمنهج الاستقرائي في تحليل المفاهيم واستنباط تغير المعاني.

من أهم النّتائج المتوصّل إليها هو الاضطراب الواضحُ في دلالة مصطلح الكلمة، كما لاحظ البحث عدم الدّقة في وضع المصطلحات نتيجة عدم فهم ما يعبر عنه المفهوم بدقة، كما أن اختلاف المدارس المأخوذ عنها في وضع المصطلحات يوقع المترجم أو الناقل في ارتباك وحيرة عند الترجمة.

كلمات مفتاحية: الكلمة، علماء اللغة، نظام صوتي، دلالي، صرفي.

Abstract:

The grammatical system of the Arabic language is related to the function of sentences in different contexts, and these sentences are disassembled to become words, the word cannot define the same definition in all languages ; Each language has its own characteristics that differ from other languages, each language has its own characteristics, which differ from those of other languages, although they have common characteristics, they are composed of phonetically, morphological, and semantically system and grammatical system, This issue, although recognized by the linguists, but they are still trying to find a common definition.

The result is the obvious confusion in the semantics of the word.

The research noted the inaccuracy in the wording of the terms from not understanding what the concept accurately expresses, and that the difference between schools makes the translator or the issuer confused and confused when translating.

Keywords: *word; language; linguistics; phonetic; semantic; morphological.*

مقدمة :

اجتهد كثير من اللّغويين في وصف التّظام اللّغوي وإزالة الغموض الذي يكتنفه، محاولين في ذلك فهم كيفية تطوّر اللّغة عبر الزمن، سواء من حيث أصواتها، وقواعدها الصّرفية والنّحوية إلى تبدّل معاني كلماتها. وكان من نتائج هذه الاجتهادات عكوف المناهج اللّسانية على تطوير نظرية لغوية متكاملة تسعى إلى تحديد معالم هذا النّظام اللّغوي.

غير أن أوّل ما يلاحظ عند قراءة هذه المناهج في مدارسها المتنوعة، هو ذلك الخيط الرّفيع الذي يفصل كل منهج عن الآخر، هذا إذا سلّمنا بتباعدها نظريّا، فسرعان ما يتلاشى ذلك الفاصل إذا ما أردنا أن نطبّقها فنجد كلّ منهج يتداخل مع الآخر بشكل ما. والحقيقة أنّ هذه الرؤية تبدو معقّدة إذا ما لمسنا جانب التّأثر والتأثير فيما بينها، وإن اختلفت منطلقاتها النّظرية في وصف اللّغة؛ وتحديد مفهوم الكلمة، ومن المعلوم أن اللّغة تختلف في طبيعة استعمالاتها تبعا لاختلاف المستويات الكلامية للأفراد، وكلّما اختلف المستوى الكلامي للمتكلّم تغيرت خصائص كلامه تبعا لذلك، وبتغير خصائص الكلام، يتغير مفهوم الكلمة .

حاولنا من خلال طرْقِ هذا الباب ولوج المجال اللّساني لتتبّع تطور معاني مصطلح الكلمة في المدارس اللّغوية الحديثة، للإجابة عن التساؤلات التالية : هل يتغير تعريف الكلمة من مدرسة إلى أخرى؟ وهل يمكن تجزئة هذه الكلمات إلى وحدات أقل؟ وإن سلّمنا بذلك، فكيف يمكن تحديدها والتفريق بينها، وهل تحمل هذه الوحدات معنى أو وظيفية؟

كما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي في تتبع الظواهر والمعاني المختلفة، واستعانت بالمنهج الاستقرائي في تحليل بعض أقوال اللّغويين عند اختلافهم في تحديد المفاهيم واستنباط تغير المعاني.

1- معنى الكلمة عند اللغويين الغربيين :

لقد عرفت دراسة الكلمة اهتماما خاصا في الأنحاء الغربية وخصوصا في أمريكا على يد بلومفيلد وأتباعه بل إنّها كانت مدار الدرس اللغوي، فقد اعتنوا من جهة بتقسيمها إلى دلائل دنيا ، ومن جهة أخرى بتحديدها بواسطة عدّة طرق: كالثبات الداخلي، وقابلية العزل، وحركية الموقع، ونعني بالثبات الداخلي العناصر المتتالية المؤلفة لوحدة متماسكة، وبقابلية العزل، البحث في الكلمة إن كانت تؤلف كلمة واحدة أم كلمتين منعزلتين، أما حركية الموقع فهو مدى استطاعة الكلمة استبدال موقعها مع عناصر أخرى، أي الحرية في الترتيب .

ولئن كانت الكلمة في اللسانيات التقليدية عنصرا لسانيا دالا مركبا من فونيم واحد أو عدّة فونيمات كما أورد ذلك **جون دي بوا Jean Dubois** [1]، وانتُقد هذا التعريف من حيث إن الكلمة تختلف ما بين الشكل والوظيفة، فقد تدلّ على معنى أو أكثر من معنى، كما أن بعض الدلالات كالحركة والنوع يمكن أن تعبر عنهم كثير من الكلمات المختلفة، فإنّ بلومفيلد **Blomfield** قد عرف الكلمة " بأنها أصغر صيغة حرّة "[2] ، وهي حرية تحمل في طياتها شيئا من الغموض، لأن بلومفيلد لم يحدد نوعها[3]، وهو يقصي بتعريفه هذا الصيغ الصغرى غير الحرة مثل أدوات التعريف وبعض الحروف الملتصقة كالباء واللام وغيرها، « فالكلمة عنده هي أصغر وحدة لغوية يمكن النطق بها معزولة، كما يمكن استعمالها لتركيب جملة أو كلام، ويجب أن تتكون من مورفيم حر (**Frée Morphème**) على الأقل، ومع ذلك فإننا نجد في كل اللغات كلمات لا ينطبق عليها هذا التعريف، ففي الانجليزية مثلا نجد بعض العناصر اللغوية نحو{a } و{**The**} ليس لها معنى في ذاتها وانّما في غيرها، ولا تستعمل بمفردها تماما، وكذلك نجد في الفرنسية بعض الوحدات اللغوية كضمير {**Je**} الذي لا يستعمل في أغلب الأحيان بمفرده، وكذلك حروف الجر وبعض الضمائر في اللغة العربية؛ يضاف إلى ذلك أننا لا يمكن أن نتصور حوارا يدور في أي لغة من اللغات، وتستعمل فيه فقط الضمائر وحروف الجر وبعض الأدوات النحوية، وكلّها تندرج مع الكلمات طبقا لتعريف بلومفيلد [4]، أي أصغر شكل حر(**Forme libre minimale**) هذا التعريف "مبني على التمييز بين الشكل المقيد (**Forme liée**) والشكل الحر (**Forme libre**) : فالشكل المقيد هو الشكل الذي لا يمكن أن يظهر وحده في خطاب، ومن ذلك أداة التعريف في وبالضمير المتصل؛ والشكل الحر هو الذي يرد وحده في خطاب، ومثاله الضمير، فلو سألك أحد (من فتح الباب) فبإمكانك أن تجيب : "أنا"، مكونا خطابا مستقلا يحتوي على كلمة واحدة، بينما لا يمكننا القول (تُ) باستعمال الضمير المتصل الوارد في فتحتُ؛ أما (أصغر) فهو بمعنى التجزيء، فالتعريف الأصلي يوافق تعريف الكلمة بأنّها شكل حر لا يقبل التجزيء(إلى كلمات)،

فكلمة (البُلبلان) إذا جزأناها إلى وحدات دالة تعطينا (**al+bulbul+ani**) ولكن أداة التعريف /al/ الدالة على التثنية والرفع، لا تكوّن أي منهما كلمة لعدم إمكانية ورودها في خطاب مستقل، فالوحدة (البلبلان) كلمة واحدة بهذا المعنى.

أما في السلسلة (هذا البلبل) فإن كلا من (هذا) و(البلبل)كلمة، فلو سأل أحد "من غرد"؟ فبإمكانك أن تجيب :"البلبل"، أو"هذا" مشيرا إلى البلبل، وفي كل حالة أوردت إحدى الكلمتين في نص مستقل[5]. وهذا يتناسب تماما مع ما ذكره النحاة القدامى وبالأخص الأستربادي في حدّ الكلمة.

ولكنّ تعريف "**بلومفيلد**" بالرغم من شيوعه، وإمكانيته تحديدَ عدد كبير من الكلمات فإنّه لا يتلاءم مع ممارسة النحويين؛ فلو تأملنا العبارات :

بالدار، في المنزل، لعمرُكَ، رُبَّ ليل

لرأينا أنّها تبدأ بكلمات نحوية هي الحروف، بـ ، في، لَـ ، رُبَّ، وهذه الوحدات من الصعب إيرادها منفردة في خطاب مستقل، ففي هذه الحالة هل يعقل أن نعتبر أن (في المنزل) مثلا كلمة واحدة؟[6] .

في حين يقول **سابير**:" إنّ العناصر اللّغوية ذات المعاني هي بصفة عامة أنساق من الأصوات، إمّا أن تكون كلمات أو أجزاء ذات معان في الكلمات أو مجموعات من الكلمات"[7].

أما **فندريس Vendryes**فيقول :" إن الكلمة تحمل في نفسها علامة استخدامها والتعبير عن قيمتها الصرفية، فلها بنفسها كمال لا يدع الحاجة ماسة إلى شيء"[8].

وقد خص **ستيفن أولمان** في كتابه (**دور الكلمة**) فصلا بعنوان الكلمة تحدث فيه عن صعوبة وجود تعريف جامع مانع للكلمة رغم سهولة التعرف عليها أحيانا، كما أنه أشار إلى أن تعريف الكلمة قد اختلف بحسب المناهج، فمنهم من اهتم بوظيفتها كبلومفيلد، أما فيرث فقد جعلها مقابلات استبدالية، فاستبدل الأصوات ذات الصفات المميزة بغيرها، أو إضافة هذه الأصوات أو حذفها يؤدي إلى وجود كلمات جديدة[9]، وما يلاحظ أن فيرث لم ينظر إلى العلاقة المعقّدة بين الصوت والدلالة، فأعطى أهمية مبالغ فيها للصوت دون الدلالة.

يخلص **ستيفن أولمان** إلى أن الكلمة ليست دائما وحدة صوتية للكلام المتصل، ولكنها مع ذلك تحتفظ بذاتيتها الصوتية في ذهن السامع، أما عن الكلمة فإنّه يقول: " إن أصغر وحدة ذات معنى، ويمكن إفرادها والنظر إليها من هذه الناحية، إنّما هي الكلمة ...فالصوت والكلمة والتركيب النحوي هي الوحدات الثلاث للكلام المتصل"[10].

وعرفها **فاشيك vachek** بقوله : " هي جزء من الحديث الكلامي له صلة بالواقع الخارج عن اللغة، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم، ويتغير موضعها بالنسبة لبقية الحدث الكلامي[11]، ورغم أنه أعطاها بعض الخصائص المميزة كعدم قابليتها للتقسيم وحركية الموقع إلا أنّه لم يفها حقّها من الشرح.

أما **ترانكا Tranka** فعدّها وحدة يمكن إدراكها عن طريق الفونيمات، وهي قابلة للإبدال، ولها وظيفة دلالية "[12].

قال **جيسبيرسن Jespersen** :" الكلمات وحدات لغوية، ولكنها ليست وحدات أصواتية ، وليس في التحليل الأصواتي لنسق من الأصوات المنطوقة ما يكشف لنا عن عدد الكلمات التي يتكون منها هذا النسق ، ولا عن الحد الفاصل بين كلمة وكلمة[13] .

لقد دافع جورج ماطوري عن الكلمة باعتبارها الوحدة الدلالية الصغرى التي تبنى عليها الدراسة المعجمية، وناهض المحاولات التي قام بها غيره من علماء اللغة لتفتيت هذه الوحدة إلى مونيمات أو مورفيمات حسب المدارس[14] .

ويعرفها كريفس **Greivisse** بالنظر إلى وظيفتها في الجملة إلى سلسلة من الأصوات أو الحروف، التي يمكن تقسيمها إلى وحدات أصغر وتحدد الكلمة من مزيج منطقي، نُظم نحويا للتعبير عن المعنى الكامل[15].

ما يلاحظ من التعاريف السابقة أن كل تعريف غالبا ما يهمل بعض المميزات والخصائص اللغوية للكلمة، ولا يمكنها أن تنطبق على كل اللغات، وإنّما تستقل كل لغة بتعريف خاص بها، مستقى من طبيعة اللغة، ووسائلها الخاصة في التركيب.

1-1 _العنصر النحوي والوحدة الدلالية عند بالمر" Palmer ".

يبدو أنّ بداية التفريق بين الوحدة الدلالية والوحدة الصرفية كان حين قُسِّمت الكلمات نفسها إلى قسمين، هما نفسهما اللذان سيظهران لدى اللسانيين؛ فقد ذكر بالمر **Palmer** أنّ النحوي الإنجليزي **هنري سويت** وضع تمييزا بين الكلمات التامة (**Ful words**، والكلمات الشكلية (**Form words**)، ومن أمثلة التامة عنده كما يروي بالمر **Palmer**: شجرة، يغني، أزرق، برفق... ومن أمثلة الكلمات الشكلية: أو، هي، إلى، إلخ . ويبدو كما يقول أنّ للكلمات التامة فقط نوعا من المعنى الذي نتوقع أن نجده في المعجم. أمّا الكلمات الشكلية فتعود إلى القواعد، فمعناها قواعدي فقط، ومثل هذا المعنى لا يمكن وصفه بمفرده، بل ضمن علاقته بالكلمات الأخرى وأحيانا بكلّ الجملة[16] .

أمّا بالمر **Palmer** نفسه فقد تجاوز هذا التقسيم الذي ردّه إلى أواخر القرن التاسع عشر، وتبنّى تقسيما آخر شاع لدى اللسانيين المعاصرين، وهو عنده يقوم على التمييز بين المفردة ذات الدلالة المعجمية أو ما يدعى(**lexème**)، والعنصر النحوي، وهو ما يدعى بالمورفيم (**morphème**) وربط بين معنى المفردة والمعجم، إذ يصحّ عنده أن تدعى بالكلمة أو الوحدة المعجمية، على حين أن العنصر النحوي مورفيم فقط. فكلمة (معلمون) بحسب تحليله تتألف من عنصرين هما : (معلم)= وحدة معجمية، أو مفردة أو كلمة توسّعا، و(ون)= عنصر نحوي أي مورفيم[17] .

2-1_ تطور مفهوم الكلمة عند أندري مارتيني:

لعلّ الاستنتاجات التي خرج بها أندري مارتيني من خلال دراسته للكلمة واهتمامه بالوظيفة التواصلية للغة، تعدّ تطورا ملحوظا في مجال الدراسات اللّغوية، ويرى مارتينيMARTINET أن الوظيفة مختلفة عن الشكل، وإن العلاقة التي تقوم بين العناصر اللغوية يجب أن تبرز وظيفتها في عملية التواصل، كما تمكّن النظرية الوظيفية من تتبع الوحدات اللسانية أثناء عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب .

وقد لاحظ أندري مارتيني أن مصطلح الكلمة أصبح يطلق على (في وهنا)، وأيضا (قصر)، وهنا اقترح مارتيني التخلي عن مصطلح كلمة واستبداله بمصطلح مركب "والمركب مجموعة من الدلائل الدنيا تكون العلاقات التي تربط بينها أمتن من تلك التي تربط المركب ككل بباقي عناصر النص الأخرى"[18] .

لقد تنبه النحاة واللسانيون إلى أن تحليل النص يمكن أن يستمر إلى ما بعد الكلمة، دون أن يلتحم بعلم الأصوات، أي دون أن ينتهي إلى فونيم (صوتم) ومقطع، لا علاقة لها مباشرة بالمعنى. إذ لا يحتاج المرء إلى قدر كبير من الجرأة لكي يكتشف ويؤكد أن كلمة "يكتبون" مؤلفة من ثلاث وحدات متتالية هي يـ + كتب + ــون أو (حرف المضارعة + جذر الفعل + ضمير الجمع) كل وحدة من الوحدات يمكن تعويضها بشيء آخر دون أن يقع تغيير في الوحدتين الباقيتين لا شكلا ولا مضمونا، مثلا : (يكتبون، تكتبون، تكتبون، تلعبون) ، هذا التحليل الذي تم انطلاقا من الكلمة في إطارها المحصور لا يمكن أن يتحقق إلا باحترام تسلسل ترتيبي واضح "**كتب**" عنصر مركزي يمكن أن يظهر باستقلال عن " يـــــ" ، في حين لا يمكن ل" يـــــ" أو "ون" أن تظهر مستقلة في الخطاب عن "كتب" أو أي شكل آخر يمكن أن يحل محله في كل السياقات النحوية كـ"تعب" أو ضرب، تعبّر وحدها عن معنى وتُقابل تصور ما، وتسمى **الوحدة المعجمية**، أما "يـــــ" ، و "ــون" اللتان لا توحيان بتصور ما فيرجع الفضل لتأكيد وجودهما إلى شكليهما أكثر من معنيهما كما يفهم ذلك من لفظة مورفيم؛ إنّ تأليفا من ثلاث كلمات نحو: "في قصر هنا " يمكن أن نقول فيه ما قلناه في "يكتبون" ، وأن نميز فيه ثلاث وحدات متتالية هي: "في" و"قصر" و"هنا" كل وحدة من هذه الثلاث يمكن تعويضها بشيء آخر دون أن يؤثر ذلك لا على شكل ولا على دلالة الآخرين ، فبدل "في القصر هنا" يمكن أن نحصل على : " عند القصر هنا " أو "في بيت هنا" أو "في قصر بعيد..." دون أن تتغير لا دلالة ولا أشكال الوحدات.

كما أننا نلاحظ هنا أيضا تسلسلا ترتيبيا معينا: فكلمة "قصر" يمكن أن تستعمل باستقلال عن "في"وعن "هنا" أو أي شكل آخر. يمكن أن يعوض "قصر" في كل السياقات النحوية ب"بيت"و"طريق". إن التعليل الدلالي الذي يقودنا إلى اعتبار "كتب" وحدة معجمية و"يـ" و"ـــون" صرفتين يجب أن يصلح أيضا لترتيب "قصر" ضمن الوحدات المعجمية و"في" و"هنا" ضمن الصرفات . ولكن "في" و"هنا" كلمات حسب المشهور المتعامل به لأنهما يقعان بين بياضين داخل النص، في حين أن "يـ" و"نون" ليستا كذلك . فهل يمكن أن تكون الوحدتان "في" و"هنا"

كلمتين في نفس الآن، مع العلم أن جل الصرفات هي أجزاء كلمات فقط؟ وإذا كانت الأسباب التي دفعتنا إلى تسمية "في" و"هنا" من جهة و"يـــ" و"ـــون" من جهة أخرى بنفس الاسم حاسمة، فإننا نتساءل عن القيمة العلمية للأسباب التي[19]، جعلتنا نعتبر "في" و"هنا" كلمتين و"يـ" و"ـــون" جزأي كلمة؟

إنّ اللّسانيين الذين كانوا يعتمدون في دراستهم لمفهومي الوحدة المعجمية و"الصرفة" قد انتبهوا إلى الشكل الذي تطرحه هذه الإمكانية المزدوجة في التحليل، ولكنهم لم يحاولوا حل هذا المشكل. فلقد عرفوا التصريف بأنه دراسة الصرفات[20] لبحث تغيرات شكل الكلمة، كما كان يقول بذلك سابقوهم وبعض معاصريهم. ولكنهم مع ذلك، لم يستفيدوا حتى النهاية، من وجهة النظر التي اعتمدوها في تعريفهم هذا ولم يدخلوا دراسة نظام أدوات الربط في الفرنسية ضمن التصريف كما فعلوا ذلك بالنسبة للتغيرات الإعرابية في اللاتينية.

أبعد لسانيون آخرون- تأخّروا في الظهور- الاعتبارات الدلالية التي أدّت إلى وضع عبارتي" وحدة معجمية" و"صرفة"، واعتبروا أن "قصر" و"كتب" من جهة و"يـــ" و"ـــون" و"في" و"هنا" من جهة أخرى، دلائل دنيا تشترك في أن كل واحدة منها لها شكل ومعنى ، لا يمكن أن يكونا معا نتيجة اجتماع وحدتين دالتين أو أكثر[21] ، وقد سموا كلّ هذه الوحدات الدنيا صرفات، مما أدى إلى ظهور خلط دائم في اللسانيات العامة بين "الصرفة"التي تدخل في تقابل مع الوحدة المعجمية والصرفة التي تشمل المعنيين معا، كما استمروا في اعتماد التسلسل الترتيبي للتمييز بين الوحدات التي يمكن أن توجد باستقلال عن مثيلاتها، من مثل "قصر" و"كتب" التي سموها الأشكال الحرة.

وبين تلك التي لا تتحقق باستقلال عن غيرها (من مثل "في"و "هنا"و"يـــ"و"ـــون" ليستا كذلك. ثم إن المبدأ الترتيبي التسلسلي للأشكال، القائم على أساس إمكانية تحقق البعض وحيدا، أي باستقلال عما يرافقها عادة يؤدي، عندما يطبق بطريقة آلية إلى ترتيب للوحدات اللسانية في مستويات أكثر تنوعا من تلك التي تحصرها في مستويين فقط: واحد للأشكال المقيدة والآخر للحرة. فالملابسات التي تسمح باستعمال شكل حر ك"رجل" وحيدا في الكلام لا تقل ندرة عن تلك التي يمكن أن تؤلف فيها الأشكال المقيدة من مثل "في"و "هنا" نصا تاما أيضا . هناك إذن درجات متعددة في هذا التسلسل الترتيبي، فالموضوع مثلا هو المكمل الأساسي للمحمول إذ لا يمكن تحقق هذا الأخير بدون تحقق الأول والاسم في الفرنسية مثلا (إذا استثنينا الحالات الشاذة) يكون (قصرا) مقرونا بأداة التعريف أو التنكير،لكنه لا يسبق دائما بحرف جر، رتبة هذا الحرف إذن تختلف عن رتبة الأداة .

يبقى مشكل الكلمة دائما بدون حل، إذ لماذا تتألف "في /كل/ قصر" من ثلاث كلمات في حين لا تتألف "يكتبون" سوى من كلمة واحدة؟ أ لأن النواة أو الشكل الحر أو الوحدة المعجمية حسب تعبير المتقدمين يلي توابعه في المثال الأول ويتوسطها في المثال الثاني؟ إن هذا ليس تفسيرا، وإنما هو مجرد معاينة لما يقع عادة في مثل هذين التركيبين.

إنّ قابلية الفصل بين العناصر المتتالية في الخطاب، والتي تؤدي عادة إلى كتابته في شكل كلمات منعزلة، فالكلمات الثلاث المؤلفة ل: " **في /قصر / هنا**" يتأكد استقلال كل واحد منها في المثال التالي : "**في** /باب /**قصر** /كبير /**هنا**" ، أما "يكتبون" فلا تقبل أي حشو بين عناصرها الثلاثة التي يحتل كل واحد منها مكانه المعتاد المضبوط، هي إذن كلمة واحدة . قابلية الحشو بين عناصر المثال الأول واستحالتها في الثاني تبرر طريقة كتابتها وكذا التحليل التقليدي لهما[22] .

وإذا حاولنا الفصل بين دال الاسم ودال الجمع في الأسماء التالية : "أولاد"،و"شجر"، و"رسل"، ستبوء بالفشل ولا شك؛ وربما كان التحليل الأكثر ملاءمة عند مواجهة قضايا من مثل هذا النوع، هو اعتماد مفهوم الكلمة، وتعتبر الكلمة في هذه الحالة مجموعة من القسيمات الدالة، كما أننا نعتبر الصوت مجموعة من القسيمات الصوتية، فالتلفظ بالباء يقتضي انغلاقا تاما في مستوى مخرجه وتوتر الحبلين الصوتيين ثم انفتاحا مفاجئا، هذه العمليات التي تؤلف القسيمات الصوتية للباء غير قابلة للتجزيء لسانيا. ويمكن أن نصف أيضا "رسل" التي يتزامن دالاها المكونان لمعناها العام بكيفية تشبه تلك التي وصفنا بها الباء.

إذاً، هل نحن متأكدون من وجود فائدة ما في الاحتفاظ بمفهوم "وحدة دالة" تسمى "كلمة" وتقع وسطا بين الدليل الأدنى والجملة، بحيث تقبل كل النصوص أن تحلل إلى متتاليات غير منقطعة من هذه الوحدات ؟ هل هناك من

فائدة من استعمال نفس اللفظة لتسمية التوابع من مثل "في"و "هنا" والحرة كـ : "قصر وكتب"، والمركبات كـ :"يكتبون" وكالاسم العربي "تأبط شرا".

وإذا كان النبر يلعب دورا قيما في مساعدة المستمع على تحقيق التحليل اللاشعوري لعناصر الخطاب الذي يتلقاه، ولكن هذا النبر لا يقع على كل عنصر من العناصر التي تظهر منفصلة في الكتابة : إن حروف العطف، التي تعتبر كلمات مستقلة لا تكون في غالب الأحيان منبورة، وإذا كانت كذلك فلأنها اختلست نبر الوحدات التي تليها.

فالوحدات الدلالية الدنيا (اللفاظم) تحتوي على مدلول ودال، وتحليل المركبة إلى لفاظم يعتمد الطرق المتوخاة في علم وظائف الأصوات " فالقصد في الحالتين أن نحدد القطع التي ترجع إلى الاختيار المخصوص لدى المتكلم ففي باب الصوائم يتعلق الأمر بقطع اختارها المتكلم مباشرة بمقتضى القيمة التي يعطيها للبلاغ"[23].

كل المجهودات التي وضعت لإعطاء لفظة "كلمة " وضعا علميا قارا تصطدم إذا بالواقع التالي: يوجد إلى جانب الحالات التي يمكن أن يحسم فيها دون تردد في إطار هذا المذهب أو ذاك، حالات أخرى لا يمكن فيها الحسم مهما كان المعيار المعتمد. لقد مكن مفهوم الكلمة، بمساعدة مفهوم الزائد، على وصف بنية النص في اللغات الإعرابية كاليونانية واللاتينية، وقد يسمح في لغات أخرى بتجميع بعض الظواهر، لكن تعميمه على مجموع النصوص يعقد في جل الأحيان الخطاب النحوي أكثر مما يبسطه.

يظهر إذا أن حلّ هذه القضية يكمن في تعويض لفظة "كلمة" في اللسانيات بمفهوم أكثر مرونة هو "مركب". والمركب مجموعة من الدلائل الدنيا تكون العلاقات التي تربط بينها أمتن من تلك التي تربط المركب ككل بباقي عناصر النص الأخرى : وهكذا يسهل أن نميز في النص التالي : " وقعت الصخرة الكبيرة على السكة الحديدية " بين ثلاثة مركبات هي : 1ـ وقعت/ 2ـ الصخرة الكبيرة/ 3ـ على السكة الحديدية[24].

وللحديث عن مجموعات الدلائل الدنيا، علينا أن نحدد معنى الدليل الأدنى تحديدا مضبوطا: يوافق الدليل الأدنى قسرا فلاقة خاصة في النص عند من يسمون هذا الدليل صرفة .تحلل "يكتبون" مثلا بسهولة إلى ثلاث صرفات لكل واحدة منها فلاقتها الخاصة داخل النص (ي+كتب+ـون) ولكل واحدة دورها الخاص في تكوين دلالة الإرسالية. ولكن وجود فلاقة واحدة غير قابلة للتقسيم وتضم، رغم ذلك، معنيين متميزين ممكن : لفظة " رسل " مثلا تضم معنيين هنا : رسول + جمع . يجب في مثل هذه الحالة العدول من تحليل الفلاقة إلى مكونيها بدل بدل المغامرة بتحليل اعتباطي، لن يقنع أحدا تقسم فيه "رسل" إلى فلاقتين ترمز إحداهما إلى "رسول" وترمز الثانية إلى "جمع"[25].

كلما تجلى حضور عنصر دال جديد عن طريق تغير شكلي ما (كما وقع في رسل جمع "رسول") كان من الأفضل تشخيص ذلك الدليل وإن لم نستطع أن نميزه بفلاقة خاصة في النص: يجب أن نعتبر أن لفظة ,n"رسل" مثلا مؤلفة من دليلين واحد يدل على اسم "رسول" والآخر على الجمع وإن لم نكن قادرين على عزل كل واحد منهما عن الآخر (كما في معلمون : معلم ـون) وسنقول في مثل هذه الحالة يوجد امتزاج بين ما يرمز إلى "رسول"وما يرمز إلى "جمع" وهكذا نسمي رسل "مزيجا " Amalgame، ونسمي الدليل الأدنى "مونيمmonème "[26].

2ـ مفهوم الكلمة والوحدة الدلالية عند اللغويين العرب المحدثين :

لئن قيدنا الشكل المنهجي للبحث فإننا نعاضد هذا التقيد بإغناء المضمون بشروح وتفسيرات عميقة.

سنحاول في هذا المبحث تتبع مفهوم الكلمة إلى مفهوم المونيم والمورفيم عند المحدثين، وقد رأينا أن الدراسات الصرفية والدلالية الحديثة رغبت عن مصطلح (الكلمة) لصعوبة تحديده والاتفاق على مدلوله في مختلف اللغات الإنسانية. لذلك اختارت بدلا منه مصطلح (الوحدة الدلالية) الذي يتشعب إلى مصطلحين آخرين يدلان على قِسمي تلك الوحدة وهما: (الوحدة الدلالية-المعجمية)، و(الوحدة الدلالية- الصرفية) ثم يُكتفى عادة باصطلاح : (الوحدة الدلالية) للقسم الأول، واصطلاح (الوحدة الصرفية) للقسم الثاني "[27].

لم يحاول علماء العربية المحدثون وضع تعريف للكلمة، فهناك من جعلها تماثل الوحدة المعجمية دون أن تدلّ على شيء من الوحدة الصرفية، وهي مجموعة من الأصوات الموضوعة في قالب أو شكل صرفي، هو مبناها، أمّا ما تدلّ عليه من أفكار أو أحداث أو كائنات أو تصوّرات أو صفات ونحوها فهو معناها، وهكذا نرى أن بعض الكلم مما يدلّ على العلاقات النحوية والمعاني الصرفية لا يدخل في هذا التعريف، وإن كان له شكل الكلمة كالضمير المنفصل مثلا، كما أنّ

تفريغ الكلمة من معناها العرفي والاجتماعي واستخدامها أداة لتحديد العلاقات النحوية الصرفية يخرجها من نطاق دلالة الكلمة الذي حدّد ضمن المعجم، كفعل (كان) حين يستخدم ناقصا للدلالة على الزمن وحده[28].

وهناك من جعلها وحدة بسيطة تقع بين المورفيم والجملة مع إمكانية الاستغناء عنها والاكتفاء بمفهوم "المورفيم"، غير أن ذلك غير ممكن، فالمورفيم لا يحترم دوما مبدأ الخطية، فلا يمكن أن نرتب المورفيمات ترتيبا لا يقبل النقاش كما يحدث في المورفيمات المتقطعة، وقد لا يملك المورفيم صورة صوتية كما هو حال المورفيم الصفر[29].

فيما يراها آخرون موضوع الإعراب، ولا يمكن للمصرّف(morphème) أن يحل محلها في التحليل النحوي،"فهي الوحدة اللّغوية الصغرى القابلة للتصنيف الإعرابي، المكونة من مصرّف قواعدي مستقل إعرابيا، أو من مصرف معجمي واحد، مفرد، أو مقترن بمصرف قواعدي، أو أكثر"[30]. فمثال الكلمة المكونة من مصرّف قواعدي مستقل(إنْ، وعلى، وواو القسم، والفاء، وباء الجر، وكاف التشبيه، ونحوها) ؛ ومثال الكلمة المكونة من مصرف معجمي واحد(عيسى، وكمثري، وهدى، ومثال الكلمة المكونة من مصرف معجمي واحد مقترن بمصرف قواعدي، أو أكثر كلمة [فاتح] المكوّنة من (ف/ ت /ح)، وصيغة فاعل، وكلمة[شاربة] المكونة من (ش / ر /ب)، وصيغة فاعل، وتاء التأنيث[31].

وقد قدّم تمام حسّان تعريفا خاصا للكلمة العربية بقوله:" إن الكلمة صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى، أو يتغير موضعها أو تستبدل بغيرها في السياق، وترجع مادتها إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد"[32]، وعلى الرغم من خصوصية التعريف على هذا النحو فإن تمام حسان، فيما يبدو يتخذ من وجود الكلمة داخل السياق معيارا لتعريفها لأنها، حسبه، تفرد عن السياق، وتحذف عن السياق، وتستبدل في السياق ؛ بالإضافة إلى استقلالها باعتبارها وحدة من وحدات المعجم، أما المعيار الصوتي والدلالي فلا يكاد يذكر عنهما شيئا في تعريفه، وكأني به قد تمثل الكلمة المكتوبة أكثر من المسموعة[33].

ومثلما هو حال العلماء الغربيين، لم يستطع علماء العرب المحدثون إعطاء تعريف للكلمة ينطبق عليها في كلّ اللّغات، فلكلّ لغة خصائصها وسماتها التي تختلف بها عن اللغات الأخرى، وبذلك وجدنا صعوبة في تحديد ماهية الكلمة، ربّما لصعوبة تحديد الحد الأدنى لوجود الكلمة، واستقلاليتها وترتيب عناصرها، هي أمور قد لا تتفق فيها لغة مع لغة أخرى .

وربّما كانت صعوبة تعريف الكلمة، وعدم الاتفاق على أدنى حد لها، من العوامل التي حملت على صرف النظر عن الاعتماد على الكلمة وحدةً للتحليل الصرفي، ودعت للبحث عن وحدة أخرى تكون أكثر قبولا لتعريفها وتحديدها، كما تكون أكثر صلاحية وإفادة في هذا التحليل، ولعلّ الوحدة التي يمكن أن تتخذ أساسا لهذا التحليل يمكن تسميتها بالمونيم.

-. خاتمة:

إنّ ما يُستقرأ من النّظريات اللسانية أن كلّ اتجاه لساني يشكّل في حدّ ذاته نظرية قائمة بذاتها لها مبادئها ومنطلقاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من النّظريات اللّغوية؛ فالمدرسة التوزيعية مثلا تتخذ منطقا سلوكيا وتعتبر اللغة مجموعة عادات صوتية؛ أما المدرسة التوليدية فهي تستند إلى أساس عقلي وتعتبر اللّغة حالة معينة للعقل يمكن تمييزها بخصائصها وبنيتها ونظامها .

كل المجهودات التي وضعت لإعطاء لفظة "كلمة " وضعا علميا قارا تصطدم إذا بالواقع التالي: يوجد إلى جانب الحالات التي يمكن أن يحسم فيها دون تردد في إطار هذا المذهب أو ذاك، حالات أخرى لا يمكن فيها الحسم مهما كان المعيار المعتمد. لقد مَكّن مفهوم الكلمة، بمساعدة مفهوم الزائد، على وصف بنية النص في اللغات الإعرابية كاليونانية واللاتينية، وقد يسمح في لغات أخرى بتجميع بعض الظواهر، لكن تعميمه على مجموع النصوص يعقد في جل الأحيان الخطاب النحوي أكثر مما يبسطه.

إنّ الوحدات الصرفية عددها قليل مقارنة مع الوحدات المعجمية، فالوحدات الصرفية هي أكثر استقرارا وهي صنف مغلق، أما الوحدات المعجمية فهي متحولة ، ومفتوحة، وعددها كبير.

لقد تخلت الدراسات اللسانية الحديثة عن مصطلح (الكلمة) لصعوبة تحديده، والاتفاق على مدلوله في مختلف اللغات الإنسانية، لذلك اختارت بدله مصطلحات أخرى، واجتهدت كل مدرسة بوضع مصطلح يحدد توجهها، وهذا برأي ما أدخلنا في ما يسمى الآن بفوضى المصطلح.

-. قائمة الإحالات:

1- Jean Dubois , Dictionaire de linguistique , p :312

2- Leonard Bloomfield, Langage ,p : 178.

3- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة، ص 226

4- حلمي خليل، الكلمة، ص 16

5- ينظر: مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص48-49.

6- ينظر: نفسه، ص 49.

7- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 260.

8- فندريس، اللغة، تعريب: عبد الرحمن الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، د.ط، د.ت ، ص181.

9- ستيفن أولمان، دور الكلمة، ترجمة، كمال بشر، مكتبة الشباب، 1951م، ص34.

10- نفسه، ص34.

11- حلمي خليل، الكلمة، ص17.

12- نفسه، ص17.

13- تمام حسان مناهج البحث في اللغة، ص 224-225.

14- ينظر: جورج ماطوري، منهج المعجمية، ترجمة: عبد العالي الودغيري ، منشورات كلية الرباط، 1993م، 39

15 -Greivisse, le bon usage,Duculot Gembloux , 8éme édition , 1964, pp :21- 24

16 - ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م، ص192، وينظر : ف آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 1985م، ص40

17 –ينظر: نفسه، ص40

18- عبد العزيز الحليلي، الكلمة عند أندري مارتيني، مجلة الموقف- مجلة فصلية ثقافية، مطبعة الرسالة، المغرب، ع2، 1987م، ص114.

19 - عبد العزيز الحليلي، الكلمة عند أندري مارتيني، ص114

20- يشير أندري مارتيني هنا إلى التيار الذي كان سائدا في فرنسا خلال الأربعينيات من هذا القرن والذي ظهر واضحا في المؤتمر السادس للسانيات بباريس سنة 1948حيث قارن بعض المشاركين فيه بين الفهم التقليدي لعلم التصريف والفهم الجديد السائد آنذاك في فرنسا على الخصوص والذي كان يعتبر رائدا .

21 - ينتقل مارتيني هنا للحديث عن مذهب المدرسة التوزيعية الأمريكية في الكلمة وفي الدليل الأدنى . ويطلق مصطلح صرفة عند أصحاب هذه المدرسة على أصغر عنصر دال ومحسوس ماديا في النص لا يمكن تجزئته إلى وحدات أصغر.

22 - ينظر: عبد العزيز الحليلي، الكلمة عند أندري مارتيني، ص114-115-116.

23 - أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ص 103

24- عبد العزيز حليلي، قضايا لسانية، ص130

- فلاقة : قطعة من الشيء

25 - نفسه، ص131.

26 - بتصرف، ينظر: عبد العزيز الحليلي، الكلمة عند أندري مارتيني، ص115.

27 - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، ص 195.

28- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، ص196.

29 - ينظر: مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص 51، 52، 53، 54.

30 -محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2004م، ص33.

31- ينظر: محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 33.

32 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص30

33 - ينظر: حلمي خليل، الكلمة، ص30.

قائمة المصادر والمراجع :

1- دور الكلمة، ستيفن أولمان، ترجمة، كمال بشر، مكتبة الشباب، 1951م
2- علم الدلالة، بالمر، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 1985م
3- قضايا لسانية، عبد العزيز حليلي، مطبعة أنفو برنت، المغرب، ط1، 1999م
4- الكلمة- دراسة لغوية معجمية،حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1992م .
5-الكلمة عند أندري مارتيني، عبد العزيز الحليلي، مجلة الموقف- مجلة فصلية ثقافية، مطبعة الرسالة، المغرب، ع2، 1987م
6-اللسانيات العامة وقضايا اللغة العربية، مصطفى حركات، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1998م.
7-اللغة، فندريس، تعريب: عبد الرحمن الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، د.ط، د.ت
8-مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م،
9-مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2004م،
10-مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة النسر للطباعة،مصر، د.ط، د.ت
11-منهج المعجمية، جورج ماطوري، ترجمة: عبد العالي الودغيري ، منشورات كلية الرباط، 1993م،

المراجع الأجنبية

12- le bon usage ،Greivisse,Duculot Gembloux , 8éme édition , 1964
13- Dictionnaire de linguistique , Jean Dubois et d'autres : librairie Larousse ,paris, 1973
14- Language,Leonard Bloomfield, Unwin university books,1970, 09 édition, Great Britain.